مذبحة سميل ١٩٣٣ وتأثيراتها على النمو السكاني والتطور الثقافي للشعب الآشوري

****

ايفان جاني كوربيل

المقدمة:

يصنف العراق ولاسيما شماله، ضمن المجتمعات الثرية بتنوعها الإثنولوجي. وقد وقف الكاتب والجغرافي العراقي الدكتور شاكر خصباك عند هذا التنوع في مقدمة كتابه العراق الشمالي، فوصفه قائلاً": إن المنطقة الشمالية تمثل متحفاً أثنوغرافياً عظيماً بقومياته وأديانه المختلفة وعاداته وتقاليده وممارساته اليومية المتباينة"[١] وفي العديد من دول العالم كان لمثل هذا التنوع الإثني بعيد الأثر في تطور المجتمع لاسيما من النواحي الثقافية ومصدر دخل مهم للدولة من الناحية الإقتصادية كعامل جذب للسياحة الثقافية.

إلا أن العراق الذي وهبه الله متحفاً إنسانياً طبيعياً عظيماً، لم يستفيد منه لابل إن هذه النعمة الربانية تحولت إلى نقمة على الحكومات أولاً ثم الشعوب التي أمسى الكثير منها يواجه خطر الإنقراض من على أرض الأباء والأجداد.

الآشوريون كما هو معروف للجميع أعطوا العالم الكثير وفي مجالات شتى، وهنا نحن لسنا بصددها، وقد كانت المنطقة الشمالية من العراق (نينوى، أربيل، دهوك ..)، من أهم مراكز تواجدهم، وأصبحت الأولى والثانية عواصم سياسية ودينية مهمة في عهدهم، وبعد سقوط نينوى عام ٦١٢ ق.م، بقى الآشوريون في مناطقهم وبكثافة سكانية حتى مجيء الإسلام.

المتابع للتأريخ السياسي العراقي، لايمكن أن يغفل القضية الآشورية التي إعتلت المشهد السياسي العراقي مرة ثانية خلال وبعد الحرب العالمية الأولى، ودورهم العسكري الكبير إلى

[١] شاكر خصباك، العراقي الشمالي، دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٧٣، ص٧.

جانب قوات الحلفاء لاسيما بريطانيا التي إستفادات من خدماتهم العسكرية بشكل كبير في إرساء الأمن والإستقرار في العراق ووضع اللبنات الأولى للجيش العراقي بمشاركتهم إبان تشكيل " قوات الليفي العراقية"[٢] ، هذا ناهيك عن دورهم كشعب متمدن مثقف ساهم بفاعلية ونشاط في مجمل المناحي الثقافية العراقية.

إلا أن مذبحة سميل (١٩٣٣)* التي إفتتحت الحكومة العراقية الملكية عهد إستقلالها بها، وبمباركة من حكومة صاحبة الجلالة بريطانيا الدولة المنتدبة على العراق، قضت إلى حد بعيد على جزء مهم من الوجود القومي والسكاني لهذا الشعب. وفي دراستنا هذه سنحاول الإجابة على سؤال كان السبب في ولادة بحثنا هذا ألا وهو، هل توقفت الحكومة العراقية ومن بعدها الحكومات المتعاقبة عند نقطة معاقبة هذا الشعب جسدياً فقط؟ وماهي التداعيات السلبية التي خلفتها المذبحة على النمو السكاني والتطور الثقافي للشعب الآشوري، كون هذين الجانبين ومع الأسف الشديد أُغفلا من قبل الكثير من الباحثين، وركزوا جل تركيزهم على جانب التصفية الجسدية. كما سنحاول أن نثبت كيف إن الحكومة العراقية سخرت جزء بسيط من إمكانياتها لتصفية الآشوريين جسدياً وخلال فترة زمنية وجيزة، في حين إستخدمت جل طاقتها وعلى مدى عقود لطمر وطمس ثقافتهم ولغتهم وهويتهم وصولاً إلى قلع جذورهم التأريخية من وطنهم الأم، من خلال محاربة ثقافتهم ومثقفيهم ومؤسساتهم.

---

٢ للإطلاع على تأريخ قوات الليفي العراقية يراجع: العميد جي كيلبرت براون،قوات الليفي العراقية ١٩١٥–١٩٣٢، ترجمة مؤيد إبراهيم الونداوي، مطبعة شفان، السليمانية، ٢٠٠٦.

* كانت سميل يومها قرية صغيرة في حدود قضاء دهوك (محافظة دهوك اليوم) وكانت تابعة لولاية الموصل. للمزيد عن مذبحة سميل يراجع: جرجيس فتح الله، نظرات في القومية العربية، أضواء على القضية الآشورية (مذابح آب ١٩٣٣)، ج٤، مطبعة وزارة التربية، ٢٠١٤.

تأثيرات المذبحة على الشعب الآشوري:

كما سبق وأوضحنا في مقدمة بحثنا هذا، أن مذبحة سميل كان لها أكثر من تأثير وجرت وتواصلت بأكثر من طريقة وشكل. وهنا سنتطرق إلى تلك التأثيرات بشكل منفصل ألا وهي: (النمو السكاني، الجانب النفسي، التطور الثقافي).

أولاً: النمو السكاني:

علاقة وطيدة تربط النمو السكاني والتطور الثقافي للشعوب لاسيما في البلدان التي تحكمها حكومات عربية أو إسلامية، التي تسود غالبها ثقافة الشعب الواحد والدين واللغة واللون الواحد وصولاً إلى المذهب الواحد في دين الأكثرية. وذلك إنطلاقاً وإيماناً منها بمبدأ تحقيق الأمن والإستقرار الداخلي الذي يتحقق بتجانس المجتمعات. فالمجتمعات التي تؤلف نسبة صغيرة من السكان قياساً بالمجموع العام لسكان البلاد، تعاني وفي غالبية الدول التي تتواجد فيها من إنحسار ثقافتها تدريجياً في أحسن الأحوال هذا إن لم تقم السلطات في تلك البلدان بإتباع سياسة ممنهجة لإذابة ثقافتها ومحو هويتها القومية واللغوية وحتى الدينية أحياناً. كما يلعب التباعد الجغرافي بين العوائل في المدن الكبيرة وإختفاء التجمعات الكبيرة والصغيرة على حد سواء دوراً سلبياً، فهو كفيل بإلغاء هوية تلك العوائل تدريجياً، فتتسلل الكلمات الدخيلة إلى لغة تخاطب العائلة شيئاً فشيئاً، وبمرو السنين تزيح لغة الأم لتغدو لغة الثقافة الغالبة والتجارة والشارع لغتهم الرئيسية، لتفترس بعدها أفكارهم وتبدأ عملية محو ذاكرتهم التأريخية البعيدة والقصيرة المدى، فتجد الأجيال القادمة نفسها وسط ثقافة جديدة لابل فتحت عيونها على تلك الثقافة التي غدت هويتها.

ناهيك من أن تدني عدد أتباع الديانات أو الإثنيات يؤثر سلباً على نشاطاتهم الثقافية بشكل مباشر، فيفقدون قدراتهم على بناء مؤسساتهم التربوية والثقافية والإعلامية الخاصة، جراء ضعف إمكاناتهم البشرية كانت أم المادية، وعدم إيلاء الجهات الرسمية لمثل هذه المجموعات

أية أهمية لأنها ولسوء حظها لم يبقى لها أي ثقل وتأثير على القرار السياسي في تلكم الأوطان.

ومن خلال ملاحظتنا للأرقام الواردة في الشكل (١) والتي تظهر النمو الطبيعي للسكان الآشوريين في العراق بعد أحداث سميل وحتى نهاية سبعينيات القرن الماضي، نجد أن هذه الزيادة كانت مساوية مع الزيادة الطبيعية السنوية لسكان العراق خلال الفترة ١٩٤٧–١٩٥٧، هذا رغم النكبة التي أصابت هذا الشعب إبان ثورة سميل حيث إستشهد مابين (١٠٠٠ ـ ٥٠٠٠) شخص في أحداث أب ١٩٣٣، في منطقة سميل ومحيط محافظة دهوك الحالية التي كانت يومها قضاءاً يتبع لواء الموصل. ناهيك عن إجبار أكثر من ١٥٠٠٠ ألف آشوري للهجرة إلى سوريا[٣]. إلا أن هذه الزيادة هبطت بشكل كبير ومخيف خلال الفترة ١٩٥٧–١٩٦٥، فبعدما كانت ٣,٧٪ أسوة بعموم العراق، أمست ١,٧٪ فقط، أي تدنت بنسبة ٢٪ خلال فترة زمنية أمدها عشر سنوات. في حين أن نسبة النمو لسكان العراق يومها كانت ٣,٥٪، وهكذا ظلت نسبتهم في تراجع مستمر لتسجل أدنى مستوى لها خلال الفترة ١٩٦٥–١٩٧٧، وكانت ٠,٨٪، في حين أن نسبة النمو على مستوى العراق إرتفعت إلى ٤٪.

وهذا التدني الكبير والمستمر كان له دوراً جلياً في إنحسار الثقافة الآشورية يوماً بعد أخر، ونعزيه إلى مجموعة عوامل وهي:

١– الهجرة المستمرة لأبناء الشعب الآشوري لاسيما الشباب منهم إلى خارج الوطن، وهذا ما أثر سلباً على معدلات الزواج وبالتالي تدني نسبة النمو الطبيعية(الولادة)، ناهيك عن عزوف الأخرين منهم عن الزواج بسبب الظروف التي مر بها العراق من حروب متتالية لاسيما الداخلية منها إبان الثورات الكوردستانية وتدمير مئات القرى في شمال العراق يومها ومن بينها عشرات القرى الآشورية.

[٣] للتفاصل راجع: جرجيس فتح الله، نظرات في القومية العربية مداً وجزراً حتى العام ١٩٧٠، أضواء على المذبحة الآشورية "مذابح آب ١٩٣٣" المأساة الآشورية، ج٤، منشورات دار أراس، مطبعة وزارة التربية، أربيل، ٢٠٠٤، ص١٨٠١.

٢- بقي كابوس المذبحة جاثماً على صدور الآشوريين سنين طوال، هذا ما جعل الشباب منهم يعزفون عن الزواج وتكوين الأسر التي تعتبر مهداً لبقاء وإستمرارية وتطور الثقافة، خوفاً من المستقبل المجهول الذي ينتظرهم .

٣- الظروف الإقتصادية التي مر بها الآشوريون لاسيما أولئك الذين أجبروا على ترك قراهم وبيوتهم إبان المذبحة وبعدها، حيث يقول بارمتي في كتابه الآشوريون والمسألة الآشورية، لقد هدمت القوات العراقية في ستينيات القرن المنصرم ١٥٠ قرية أشورية كلياً، مما أجبر٣٠ ألف إنساناً آشورياً على ترك منازلهم والبحث عن ملجأ لهم في بغداد وغيرها من المدن العراقية، حيث عاشوا في بؤس وفقر مدقع[٤] . فأي تطور ثقافي ننتظر من فئة كهذه ؟.

شكل رقم (١)[٥]

الزيادة الطبيعية السنوية في العراق

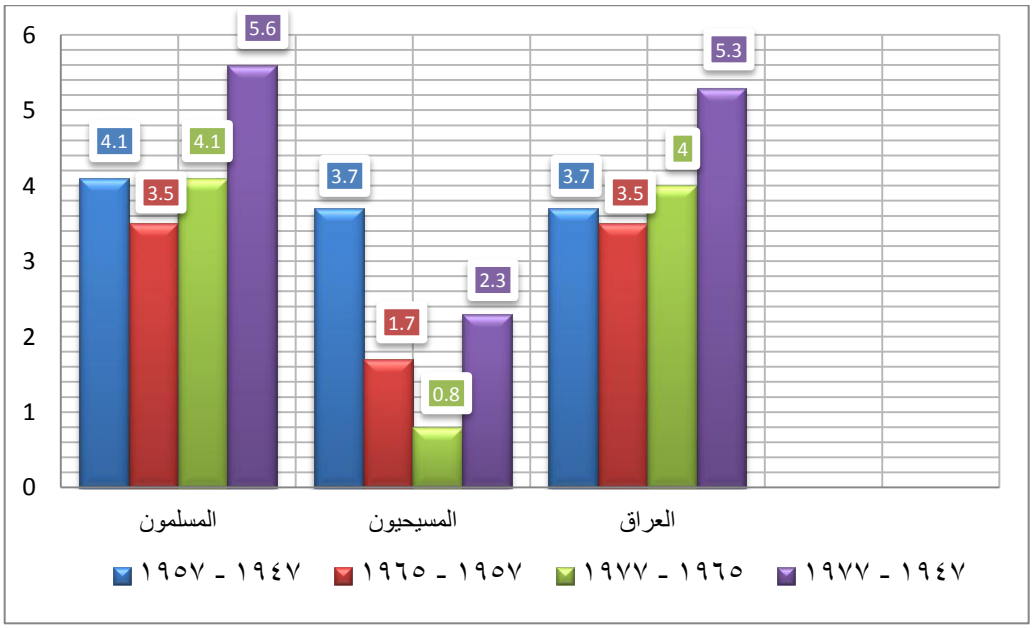

[٤] قسطنطين بيتروفيج ماتفيف بارمتي، الآشوريون والمسألة الآشورية في العصر الحديث، مطبعة الأهالي، دمشق، ١٩٨٩، ص١٤٨.

[٥] ايفان جاني كوربيل، مسيحيو محافظة دهوك (دراسة جغرافية ـ أثنوغرافية)، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة صلاح الدين ـ أربيل، ٢٠١٢، ٤٢-٥٥.

٤- إجبار الآشوريين وغيرهم من أبناء الأقليات الإثنية في العراق على التسجيل عرباً أو كورداً في التعدادت السكانية العراقية، أو وتحت خانة غير مبين[٦]. فالإنسان الذي يحرم عليه شعوره القومي وتنزع منه هويته، ترى كيف سيعامل في حال حاول لا بل فكر بتطوير ثقافته وإحياء لغته وموروثه القومي والتراثي.

ثانياً: الجانب النفسي.

كل واحد منا يقدر ويدرك التأثير السلبي الذي تخلفه الحروب على الذات الإنسانية والمجتمعات بأسرها، وهذه التأثيرات لايمكن للإنسان أن يعيشها ويتلمسها بتاتاً، مهما جاهد وحاول وكتب وحلل، فهي مختلفة بإختلاف الإنسان وطبيعة خلقه. لقد كتب وقيل الكثير عما خلفته مذبحة سميل من تأثيرات نفسية سلبية عميقة على أولئك الذين عايشوها ونفذوا من سيوف جزاريها. وهنا سنورد بعض الصور التي تروي تلك الحالة المروعة التي عاشها أبناء هذا المجتمع، ولاسيما المسالمون منهم والذين كانوا الضحية الأولى لها.

١- **شهادة المقدم البريطاني رونالد سيمبل ستافورد:** عن مذبحة سميل يكتب ستافورد في كتابه الشهير مأساة الآشوريين مانصه:" عندما قمت بزيارة للقرية (أي سميل)، مع ميجر تومسن في السابع عشر من الشهر (أب ١٩٣٣) لم يبد من أثار ماحصل شيء، إلا أن منظر النسوة المفجوعات، كان من المناظر التي لن أنساها ماحييت، وأنا الذي قضيت ثلاث سنوات في خنادق فرنسا"[٧]. وينقل لنا ستافورد صورة الفئة التي عانت مباشرة من المذابح والنهب قائلاً:" هؤلاء باتوا خائري العزائم، منهاري المعنويات فمعظمهم لم يقم بأي عمل لا قانوني". ويضيف :" إن كثيراً من أفراد هذه الفئة لم يعد إلى قراه، وهم الأن

[٦] عەبدوللا غەفور، ئەتنوديموكرافیای باشووری کوردستان، جابخانەی وەزارەتی بەروەردە، هەولیر، ٢٠٠٦، ص٣٧. وكذلك: التعداد القومي للسكان، مديرية الأمن العامة "مركز التطوير الأمني"، مطبعة مديرية الأمن العامة، بغداد، ١٩٧٧.

[٧] جرجيس فتح الله، المصدر السابق، ص١٨١٦.

يعيشون على الصدقات الموقوتة في الموصل، ثم أن هناك مشكلة أخرى، مشكلة النسوة والأطفال الذين فقدوا كل معيليهم الذكور في المذابح[٨]". وعن النهاية المأساوية التي كانت في إنتظار المنكوبين يقول الدكتور أوديشو: لم يكتب النجاح لمشروع الحكومة العراقية الرامي إلى توزيع هذه الفئات على القرى الآشورية مع توزيع بعض الدعم المادي لهم، لأن معظمهم بقي يعيش في الموصل على التسول[٩].

٢- **الدكتور أوديشو ملكو أشيثا:** يقول الدكتور أوديشو:" بقي الآشوريون يعيشون كابوس المذبحة لفترة غير قصيرة بعد وقوعها، وكانوا يرثون ما حل بهم من الويلات ويتهامسون فيما بينهم بمقاطع شعرية رثائية تهز المشاعر وتدمع العيون وتعزي النفوس، منها البيت الشعري الذي ترجمته(من سميل إلى بقاقا، الرجال والنساء يتراكضون، والأطفال الصغار يقتلون ويتركون)". وننقل أيضاً مرثية شعرية مؤثرة للسيد نيسان داود البازي ويقول فيها:" أنا نيسان داود البازي، مابرحت عيوني تذرف الدموع على الفاجعة التي حلت بالأمة. كما أن قلبي مترع بالحزن على تلكم الشباب اليافعين الذين قتلوا غدراً على يد الخاسئين"[١٠]. ونقل لنا القس بولس بيدار أحد الذين عانوا من هذا الوضع كثيراً صورة سميل المنكوبة بواسطة قصيدة شعرية طويلة باللغة الآشورية المعاصرة بعنوان (نكبة سميل)، وهي تحاكي ما عاصره هذا الشعب من مرارة تلك الأيام والسنوات التي خلت، وقد منعت الحكومة العراقية من نشر هذه القصيدة وغيرها ولم ترى النور إلى بعد أعوام وخارج الوطن.

ܚܓ ܢ ܟܬ ܚܒܝܬ ܡܕܡܝ ܚܝܟ ܗܓ ـــــ ܐ
ܒܟ ܦܙܦܗ ܕܡܡܒ ܣܒܙ ܗ ܒ ܐ

٨ جرجيس فتح الله، المصدر السابق، ص١٨٤٢.

٩ أوديشو ملكو أشيثا، نكبة سميل ١٩٣٣ أسبابها وتأثيراتها المحلية والدولية، مطبعة نصيبين، دهوك، ٢٠١٣،ص٢٩٦.

١٠ للمزيد راجع: أوديشو ملكو أشيثا، المصدر السابق، ص٢٩٤.

ﺣﺠﻨﺔ ﻣﺒﺬﻟﺔ ﺣﺠﻪﻩ ﺑﺠﻚ ﺍﻟﺤﻤﺸﺔ ﭼﻪ ﺑﺪﺑﺬﺔ
ﻣﻜﺒﻚ ﻛﻪ ﻟﻬﻤﺬ ﻳﻘﺔ ﺑﺒﻘﻴﺔ ﻣﺪﺟﻚ ﺍﻟﺒﻨﺘﺬﺔ.

إلى أن يقول:

ﻛﺎﻟﻤﺸﺔ ﺩﻳﻴﻤﻜﻚ ﺷﻤﻴﻚ ﻟﻴﻪ ﺣﻠﻘﺔ ﻳﺪﻣﺬﺔ
ﻟﻴﻪ ﺩﻛﺔ ﻣﻴﺔ ﻣﻪﻩ ﺑﻘﻴﺔ ﻛﻪ ﺣﻚ ﻟﻬﻤﺬﺔ[11].

ثالثاً: التطور الثقافي:

التطور الثقافي مرهون بمجموعة من العوامل الداعمة، ومنها، الجغرافية، الإستقرار الأمني والسلام، الجانب الإقتصادي، ناهيك عن العامل النفسي، وجل هذه العوامل نجدها معدومة أو إنتزعت من الفرد الآشوري الذي عانى ماعاناه من ويلات إبان الحكومات العراقية المتعاقبة.

وهنا نضع تحت أيادي القاريء الكريم مجموعة من النقاط أو بالأحرى أسلحة سخرتها الحكومات العراقية المتعاقبة لمحاربة الثقافة الآشورية وتطورها لابل طمسها وتزييفها وتحويرها، وكأنها ثقافة دخيلة وليست مصدراً وأم للثقافات العراقية.

أ- **تحريم وتقزيم اللغة الآشورية:** لقد شعرت الحكومات العراقية المتعاقبة مدى أهمية اللغة في حياة الإنسان الآشوري، فسعت وجهدت وبجل الطرق والوسائل للقضاء على اللغة الآشورية وإجتثاثها من المجتمع الآشوري، ومن الطرق والمحاولات التي إتبعتها نذكر مايلي:

يقول الدكتور أوديشو ملكو في كتابه نكبة سميل ١٩٣٣ أسبابها وتأثيراتها المحلية والدولية مايلي:" لقد إنسحبت تأثيرات الوضع الجديد (مابعد سميل) كنتيجة طبيعية، على كافة مجالات الحياة الإجتماعية للأشوريين ، فعلى سبيل المثال: يوم أراد الأشوريون فتح مدرسة لأطفالهم في قصبة (قراخان) التي تبدل إسمها لاحقاً إلى (جلولاء)، وكان عددهم يزيد عن ثلاثين عائلة في عام ١٩٣٤، قاموا بتقديم طلب خاص إلى مدير محطة القطار في القصبة عن

١١ أوديشو ملكو أشيثا، المصدر السابق، ص٢٩٨.

طريق مختارها التركماني (يوسف آغا) للموافقة على فتح مدرسة هناك لتدريس أولادهم اللغة الأشورية، علماً أنه لم يكن في قراخان أية مدرسة عربية أو كردية أو تركمانية في ذلك الوقت. وافق مدير المحطة البريطاني بعد التشاور مع المختار على منح إجازة للآشوريين لفتح مدرسة بلغتهم " ولكن دون إسم، لأن جروح سميل كانت لاتزال ملتهبة"[١٢].

ويستطرد الدكتور عوديشو قائلاً:" كما إن مدرسة الكنيسة الإنجيلية الآشورية في بغداد، والتي تأسست عام ١٩٢١، وبإشراف وإدارة السيد خندو هـ يونان، تم تغيير إسمها بعد النكبة " أي سميل" من المدرسة الآشورية إلى مدرسة التقدم"[١٣].

ب- **تدمير القاعدة التراثية للمجتمع الأشوري :** وذلك بقضاء الزمرة التي إرتكبت هذه المجزرة على الجزء الأكبر من الثقافة والتراث الخاص بالمسيحيين بشكل عام والأشوريين بشكل خاص في المنطقة، حيث سويت أكثر من **60** قرية بالأرض وحرقت ونهبت جل محتوياتها بما في ذلك البيع والكنائس التأريخية وماكانت تزخر به من مخطوطات وكتب نفيسة.

ت- **القضاء على الكنيسة الشرقية الآشورية:** جمع البطريرك الآشوري وطيلة قرون السلطتين الروحية والزمنية بيديه. وكان بمثابة الزعيم الآشوري الأول، وجل الإمور المتعلقة بحياة المجتمع الآشوري تدار من قبله مستشيراً فيها زعماء القبائل الآشورية ورجال الدين وأصحاب الشأن. وهذا الإلتفاف حول شخص البطريرك والإيمان الكبير للآشوريين كبيراً وصغيراً به، أثار إمتعاض كبار رجالات الحكومة العراقية أنذاك، حيث يقول جرجيس فتح الله، صرت تسمع حتى في المقامات العليا عبارات فظة في مقام هذا الإنسان من أمثال" القس المشاغب (يقصدون البطريرك مار شمعون)"[١٤]. وكانت الحكومة العراقية قد أمرت بإحتجاز

---

١٢ أوديشو ملكو أشيثا، المصدر السابق، ص٣٦٥.

١٣ نفس المصدر السابق، ص٣٦٥.

١٤ جرجيس فتح الله، المصدر سابق، ص١٨٠٢.

البطريرك في بغداد ومنعه من السفر وذلك في نهاية شهر أيار ١٩٣٣، أي قبل حدوث المذبحة وذلك تحضيراً للمجزرة المرتقبة والمخطط لها، وبعد المذبحة أصدرت الحكومة العراقية القانون رقم ٦٢* وبموجبه أسقطت الجنسية العراقية عن البطريرك ونفي إلى قبرص بتأريخ ١٩٣٣/٨/١٨، وإلتحق به جميع أفراد عائلته الذين سحبت جنسيتهم العراقية بموجب نفس القانون، وقبل ذلك كانت الحكومة العراقية قد شنت حملة إعتقالات لوجهاء الآشوريين ونفتهم من مدينة الموصل إلى الناصرية[١٥]. والجدير بالذكر إلى أن العائلة البطريركية ظلت تحت الإقامة الجبرية في جزيرة قبرص مقطوعة عن الأقارب والأصدقاء وممنوع عليها السفر خارج الجزيرة، وقد عانت الغربة الطويلة إلى صيف ١٩٥٣ يوم وافق وزير الدولة للشؤون الخارجية البريطاني على منحهم الجنسية البريطانية، وبعدها غادروا إلى بريطانيا ومن هناك إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث بقي الكرسي البطريركي، بعد أن تم رفض طلبهم بالتوجه والسكن والإقامة في سوريا ليعيشوا مع الشعب وقريبين من الوطن الأم[١٦]. وقد كان لقانون إسقاط الجنسية العراقية ونفي البطريرك وقع سلبي كبير في نفوس الآشوريين، فتوسع الشرخ الذي أوجدته مذبحة سميل وفقدوا الثقة بالحكومة التي كان من المفترض أن تحميهم وتدعمهم كما تعهدت.

ج- تحريم الهوية الأشورية ونزع الجنسية العراقية: وهنا سنكتفي بشهادة الأستاذ رشيد الخيون والتي جاءت في كتابه الأديان والمذاهب بالعراق ويقول:" أما النساطرة أو الأشوريون فلم يذكرهم الدليل العراقي لعام ١٩٣٦، بسبب القتال الذي دار بينهم وبين الحكومة قبل ثلاث سنوات من صدور الدليل المذكور، وإسقاط الجنسية عن معظمهم، وتسميتهم بالآثوريين، بعد

---

*جاء في هذا القانون (إن لمجلس الوزراء الحق في سحب الجنسية التي تم منحها بعد ١٩١٤ من كل أجنبي ينتمي إلى عائلة لم تسكن العراق قبل ذلك التأريخ، وشرط أو وجود ذلك الأجنبي في العراق يهدد الأمن الوطني. عند ذاك لوزير الداخلية صلاحية نفي ذلك الأجنبي بإعتبار أنه شخص أجنبي).

١٥ أوديشو ملكو أشيثا، المصدر سابق، ص٢٨٨-٢٨٩.

١٦ نفس المصدر السابق، ص٣٢٨-٣٢٩.

مطالبتهم بحقوق قومية، وعندما إستفسر الخيون من أحد المساهمين بتصنيف الدليل وهو "الأديب مير بصري" عن سبب عدم إدراج الآشوريين في الدليل العراقي أجاب بالقول:" إن الظروف قادت إلى ذلك، والوضع العام كان متجهاً ضدهم"[١٧]. وحتى السنوات الأخيرة من عمر النظام البعثي كان يتم إرسال الراغبين منهم في الحصول على الجنسية العراقية إلى شعبة التعهد الخاص بالآشوريين في مديرية جنسية وأحوال الموصل، وهناك كان يسأل عن العشيرة التي ينتمي إليها، وإذا كان الشخص ينتمي لعشيرة شاركت في أحداث سميل، كان يحرم من الجنسية العراقية[١٨].

ح- **منع تسمية المواليد الجدد بالأسماء القومية الآشورية:** خلال حقبة التسعينيات من القرن المنصرم، منع النظام البعثي الحاكم يومها تسجيل المواليد الجدد من الآشوريين بأسماء قومية وتأريخية مثل سرجون وأشور ونينوي وغيرها، في حين أجاز تسميتهم بالأسماء الدينية المسيحية، في محاولة يائسة منه لإستئصال التواصل الثقافي والتاريخي وحتى الروحي بين الأحفاد والأسلاف.

خ- **محاربة الأغنية الآشورية:** كانت ولازالت الأغنية الآشورية الملهم القومي الأهم في حياة الفرد الآشوري. فالمتابع للغناء الآشوري سيلحظ كيف أن الشاعر والمطرب الآشوري قد أفلحا في ترجمة معظم الحوادث التي عاصروها وأبائهم وأجدادهم إلى كلمات وأشعار ليركبوا عليها فيما بعد لحناً شجياً وتصدح بها حناجر المطربين قديماً وحديثاً. بإختصار أمست الأغنية الآشورية قضية على الشفاه تغنى، وسلاحاً روحياً يثير أرق النظام وجلاوزته. وعندما أدركت الأنظمة العراقية هذه النقطة ودورها في إيقاد الروح القومية المتوقدة أصلاً في صدور الشباب الآشوري، قرروا معاقبة كل من لايتغنى بالنظام وأمجاده ومنعوا الأغنية

١٧ رشيد الخيون، الأديان والمذاهب بالعراق، منشورات لسان الصدق، ٢٠٠٥، ص١٩٦.

١٨ ايفان جاني كوربيل، المصدر سابق، ص ٣٨.

الآشورية غناءاً وحتى سماعاً، وقاموا بشن حملة إعتقالات واسعة وملاحقة المطربين والشعراء، مما إضطر الجزء الأكبر منهم الذين رفضوا الخنوع لمطالب النظام إلى هجرة الوطن وإستقروا ولحد اليوم في المنافي ومن هناك واصلوا مسيرتهم النضالية، التي لم ولن تتوقف لغاية اليوم.

د- **منع التدريس باللغة الأم الأشورية (السريانية):** جلي للجميع الدور الكبير الذي كان للغة السريانية في العراق، ودور روادها في بناء العراق القديم والجديد، إلا أن الأنظمة العراقية حرمت أبناء هذا الشعب والشعب العراقي من دراسة لغة أجدادهم، لغة العلم والثقافة، حيث منعت وفي الكثير من المناطق حتى الدورات الصيفية الكنسية التي كانت تدرس فيها اللغة السريانية بحجج واهية، وظلت الدراسة السريانية ممنوعة حتى العام ١٩٩١، حيث أقر برلمان إقليم كوردستان ـ العراق قانون الدراسة باللغة الأم للآشوريين والتركمان في الإقليم، وبعد ذلك إفتتحت أول مدرسة آشورية عام ١٩٩٢، لتبدأ من هناك رحلة الألف ميل. أما بخصوص دراسة اللغة السريانية على الصعيد الأكاديمي (الجامعات) فبالرغم من تخطي عمر الأقسام التي تدرس اللغات الأجنبية مثل التركية والفارسية والألمانية والعبرية والفرنسية والألمانية وغيرها عشرات الأعوام، إلا أن الموافقة على فتح قسم اللغة السريانية إحدى اللغات الرسمية في العراق ولغة مكون مهم وأصيل من مكونات الشعب العراقي، لابل لغة العراقيين وأجدادهم، لم يرى النور إلا عام ٢٠٠٤ في جامعة بغداد، وعام ٢٠١٦ في جامعة صلاح الدين ـ أربيل، وذلك بعد ضغوطات وتحركات مكثفة من قبل الأحزاب والمؤسسات والشخصيات (الكلدانية السريانية الآشورية) ومساندة ودعم بعض الشخصيات الوطنية والمثقفة والأكاديمية، إلا أن الإهتمام بهذين القسمين كان ولايزال دون المستوى المطلوب مقارنة بباقي الأقسام.

ذ- **تهجير العقول الآشورية:** قامت الحكومة العراقية بتفعيل القانون ٦٢ والصادر عام ١٩٣٣، وذلك ما بين عوام ١٩٩٢ـ١٩٩٣، وإستخدمته هذه المرة لتهجير باقي العقول الآشورية

التي صمدت في العراق وساهمت في بنائه وتقدمه. فباشرت بإحالة جميع المعلمين والمدرسين وأساتذة الجامعات الآشوريين إلى التقاعد الذين كانت إصول عائلاتهم تنحدر من مناطق وقعت ضمن تركيا أو إيران الحاليتين (هكاري وأورمي وما جاورهما)، وقسم من العوائل الآشورية واجه الإبعاد إلى إسطنبول وإيران بسبب ذلك[١٩]. وهذا القانون جاء منافياً للإتفاقيات الدولية الخاصة بالحدود والمواطنين. حيث نصت المادة الثلاثون من معاهدة لوزان على أن العثمانيين الساكنين في الأراضي التي فصلت عن تركيا يصبحون مواطنين للدولة التي نقلت إليها تلك الأراضي. وقد نضمت المواد ٣١ – ٣٦ حق الخيار ونقل الإقامة[٢٠]. ويضيف جرجيس فتح الله:" الآشوريون بالمفهوم القانوني والواقعي هم مواطنون خلصاء عراقيون. فهذا الإقليم الذي أطلق البريطانيون عليه إسم العراق كان مابعد نهاية الحرب بأكثر من سنة جزءً من الإمبراطورية العثمانية. وولاية الموصل منه حيث سكن الآشوريون بقيت حتى العام ١٩٢٥ جزءً منفصلاً عن العراق وهم إذ ذاك كالعرب والأرمن والكرد والترك وغيرهم يحملون الجنسية العثمانية التي تجعل كل جزء من الإمبراطورية وطناً لهم يجيز لهم حق الإنتقال أينما يشاؤون. ثم أنهم بموجب قانون الجنسية العراقية الذي صدر في العام ١٩٢٤ عراقيون كالعرب والكرد والترك والأرمن وغيرهم"[٢١].

ر– **تصعيد حملات التهجير وإفراغ ماتبقى من القرى الآشورية:** بقيت سياسة صهر المكونات القومية غير العربية في بوتقة القومية الأكبر حاضرة في الفكر السياسي العراقي، وبرزت علانية في سبعينيات وثمانينيات القرن المنصرم، يوم أقبلت السلطات العراقية على تدمير وحرق مئات القرى في شمال العراق، وكان من بينها عشرات القرى الآشورية بحجة

١٩ أوديشو ملكو أشيثا، المصدر السابق، ص٣٧١.

٢٠ فاضل حسين مشكلة الموصل (دراسة في الدبلوماسية العراقية ـ الإنكليزية ـ التركية وفي الرأي العام)، مطبعة إشبيلية، بغداد، ١٩٧٧، ص١٨٥.

٢١ جرجيس فتح الله، المصدر سابق، ص٢٠٠٧.

إيوائها لعناصر المعارضة العراقية ودعمها للأحزاب الآشورية. وهنا نستعين بمذكرة كتبها الراحل مصطفى البارزاني زعيم الحزب الديمقراطي الكوردستاني عام ١٩٦٣ مخاطباً بها هيئة الأمم المتحدة، حيث جاء في الملحق السابع للمذكرة المذكورة والتي حملت عنوان (وقائع عن الحالة المؤسفة التي يعيشها المسيحيون العراقيون تحت حكم البعثيين):" أن الجهات البعثية ألقت القبض على عدد من رجال الدين المسيحي ممن لهم مناصب ودرجات دينية رفيعة، وتم إقتيادهم إلى السجون، وبعد أن تعرضوا للتشهير المؤلم، حكم عليهم بالإعدام، وحجزت أموالهم وأملاكهم، بتهمة إيواء الثوار الأكراد والتعاون معهم، وفي فترة الستينيات تعرض دير مار ياقو وكنائس أرادن وكنيسة القديس جرجيس في شيزي وكنيسة شرانش ونافكنداله وليفو والمهمدية وبغلوجة وميزي وديري وبيباد إلى السلب والنهب جميعاً وهدمت وأحرقت بفعل القصف الأرضي والجوي" كما وأشار التقرير إلى أنه قد تفادى ذكر محن عدد كبير من المحامين والأساتذة والأطباء والكتاب المسيحيين الذين كانوا ضحية هذه الأحداث، فسجنوا وأعدموا وأبعدوا وحجزت أموالهم. وعلى إثر كل هذه الأحداث المأساوية إضطر ألاف المسيحيين في دهوك وقراها للنزوح نحو المحافظات الأخرى لاسيما الجنوبية، ومنهم من إختار الغربة وطناً جديداً له[٢٢]. هذا في الوقت الذي كانت الحكومة العراقية الملكية وبعد مذبحة سميل ١٩٣٣ قد إستلت على الكنائس والأديرة التي كانت خاصة بالكنيسة الشرقية الأشورية قديماً[٢٣]. ولم تسلمها إياهم حتى سبعينيات القرن المنصرم

وهنا لابد من الإشارة إلى أنه في إطار حملات الأنفال السيئة الصيت التي نفذتها الحكومة العراقية بين أعوام (١٩٨٧–١٩٨٨)، قد تم تدمير وحرق وتهجير عشرات القرى الآشورية

٢٢ ايفان جاني كوربيل، المصدر سابق، ص٣٩.

٢٣ رشيد الخيون، المصدر سابق، ص١٩٦.

وقصف بعضها بالأسلحة المحرمة دولياً (الكيمياوية)، وكان من بين الضحايا الذين أنفلهم النظام وإقتيدوا إلى المجهول لغاية اليوم ١٥٠ مسيحياً[٢٤].

ز- **الإرتداد عن الآشورية:** تعتبر هذه النقطة غاية في الأهمية وتطرق إليها الدكتور عوديشو فكتب:" هكذا بدأت مع نكبة سميل مشكلة التسميات في المجتمع الآشوري، وصار الناس يرتدون عن آشوريتهم خوفاً من الملاحقة والمعاملة السيئة، وإنسحبت المشكلة وبسرعة فائقة على الإسم القومي والحضاري والثقافي لهم، وحتى على إسم لغتهم القومية وإلى اليوم"[٢٥]. ماأكده الخيون حيث كتب بالنص :" أما النساطرة أو الأشوريون فلم يذكرهم الدليل العراقي لعام ١٩٣٦، بسبب القتال الذي دار بينهم وبين الحكومة قبل ثلاث سنوات من صدور الدليل المذكور، وإسقاط الجنسية عن معظمهم، وتسميتهم بالآثوريين، بعد مطالبتهم بحقوق قومية"[٢٦]. ولازال الإسم الآشوري يثير قلق وأرق الكثيرين حكومات وأشخاص في العراق وخارجه.

وفي النهاية فإن القاري الكريم والمطلع على التأريخ العراقي والمتابع لسياسات أنظمته الحاكمة، سيدرك أن معظم الطرق والأساليب التي تبنتها هذه الحكومات في تعاملها مع الآشوريين وقضيتهم في العراق، قد إستخدمت ضد المكونات القومية الأخرى، يوم طالبت كما الآشوريين تلك الحكومات بأبسط الحقوق، وإن هذا لدليل على أن هذه الحكومات لم تكن يوماً حكومات وطنية وماجاءت لخدمة المواطن العراقي، بقدر ماكانت حكومات شخصية فئوية مسيرة ذي أجندات محدودة. وسبق وأن حذر الكاتب العراقي المعروف عبد المجيد حسيب القيسي في كتابه تأريخ القضية الآشورية في العراق الشعب العراقي من تداعيات مذبحة سميل ومثيلاتها على مستقبل هذا الوطن يوم كتب:" ومالرقص في برك الدم وسحل الجثث

---

٢٤ طارق جامباز، ضحايا عمليات الأنفال١٩٨٨ من المسيحيين والإيزيديين، مطبعة شهاب، أربيل، ٢٠٠٨، ص١٢-١٨.

٢٥ أوديشو ملكو أشيثا، المصدر سابق، ص٣٦٦.

٢٦ رشيد الخيون، المصدر سابق، ص١٩٦.

يوم ١٤تموز ١٩٥٨ و ٨ شباط ١٩٦٣، وأحداث عام ١٩٥٩ في الموصل وكركوك.. ومافرحة الإنتصار الوطني والإفتخار فوق الجثث المتساقطة في حلبجة بفعل الكيمياوي.. ماهذا كله إلا أثر من أثار التنظير العقائدي الذي وضع رشيد عالي الكيلاني بذرته الأولى عام ١٩٣٣، من خلال إفتعال الإصطدام مع الأشوريين ".

الإستنتاجات:

١- لم تقتصر مذبحة سميل على التصفية الجسدية وحرق ونهب مجموعة من القرى الآشورية، بل تعدت في حدودها إلى مرحلة أكثر خطورة ألا وهي القضاء على مكون أصيل من مكونات المجتمع العراقي، وهو الشعب الآشوري، من خلال طمس ثقافته، ومحو لغته، وتزييف هويته وإجتثاث إنتمائه.

٢- بالرغم من سياسة العنف والقتل والتهجير التي تبنتها الأنظمة العراقية المتعاقبة تجاه الشعب الآشوري، إلا أن هذا الشعب ظل صامداً وصابراً وحافظ على لغته وثقافته وهويته وجذوره من الإندثار والتلاشي.

٣- مذبحة سميل التي إفتتح العراق عهد إستقلاله بها، وضعت البذرة الأولى للتنظير العقائدي، وبقيت تلك الأفكار معشعشة وحاضرة في فكر الكثير من الساسة العراقيين وأعادوا سيناريو سميل الدامي تباعاً في قرى ومدن ومناطق متفرقة من العراق وضد مكوناته المتنوعة.

٤- أهملت الكثير من الدراسات الجانبين الثقافي والنفسي إبان دراستهم لموضوع مذبحة سميل، وشحت أو إنعدام المصادر إنما دليل على ماإستنتجناه.

٥- مقارنة بدورهم الفعال في بناء العراق والتضحيات الجسام التي قدمها (الكلدان السريان الآشوريون) في العراق، لازال الإهتمام بالثقافة واللغة السريانية كلغة وثقافة وطنية دون المستوى المطلوب.

المصادر والمراجع:

١- أشيثا، أوديشو ملكو ، نكبة سميل ١٩٣٣ أسبابها وتأثيراتها المحلية والدولية، مطبعة نصيبين، دهوك، ٢٠١٣.

٢- بارمتي ، قسطنطين بيتروفيج ماتفيف ، الآشوريون والمسألة الآشورية في العصر الحديث، مطبعة الأهالي، دمشق، ١٩٨٩.

٣- براون، العميد جي كيلبرت ،قوات الليفي العراقية ١٩١٥-١٩٣٢، ترجمة مؤيد إبراهيم الوندواي، مطبعة شفان، السليمانية، ٢٠٠٦.

٤- التعداد القومي للسكان، مديرية الأمن العامة "مركز التطوير الأمني"، مطبعة مديرية الأمن العامة، بغداد، ١٩٧٧.

٥- جامباز، طارق، ضحايا عمليات الأنفال١٩٨٨ من المسيحيين والإيزيديين، مطبعة شهاب، أربيل، ٢٠٠٨.

٦- جرجيس فتح الله، نظرات في القومية العربية، أضواء على القضية الآشورية (مذابح آب ١٩٣٣)، ج٤، مطبعة وزارة التربية، ٢٠١٤.

٧- حسين، فاضل ، مشكلة الموصل (دراسة في الدبلوماسية العراقية ـ الإنكليزية ـ التركية وفي الرأي العام)، مطبعة إشبيلية، بغداد، ١٩٧٧.

٨- خصباك، شاكر، العراقي الشمالي، دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٧٣.

٩- رشيد الخيون، الأديان والمذاهب بالعراق، منشورات لسان الصدق، ٢٠٠٥.

١٠–غەفور، عەبدوللا ، ئەتنوديموكرافیای باشووری كوردستان، جابخانەی وەزارەتی بەروەردە، هەولیر، ٢٠٠٦.

١١–كوربيل، ايفان جاني، مسيحيو محافظة دهوك (دراسة جغرافية ـ أثنوغرافية)، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة صلاح الدين ـ أربيل، ٢٠١٢.